



الفصل الخامس
الصفحة النحوي

أشار الصفدى إلى أنه كتب فى النحو كتابين ، هما :

- التعليقة على الحاجبية ^(١) .

- ومعانى الواو ^(٢) .

وتشير بعض مصادر ترجمته إلى أن له :

- تكملة شرح كتاب تسهيل الفوائد ^(٣) .

ومن المؤسف أنه لم يصل إلينا من هذه الكتب الثلاثة شىء وفى الغيث المسجّم بعض النقول من الكتابين الأولين ، وأمّا الكتاب الثالث فلا أعلم عنه شيئا ، وليس فى استطاعة الباحث أن يعيّن الموضوع الذى بدأ منه الشرح - إن صحّ أنّ له حصّة فيه - فمن الملاحظ أنّ الصفدى قد ذكر شراح التسهيل ، ومنهم :

* ابن مالك نفسه ^(٤) ، وكان شرحه كاملا عند الشاغورى النحوى ^(٥) ولعلّه من تلامذة ابن مالك ، وأتقن النحو ، وظنّ أنهم يجعلونه مكان ابن مالك - بعد وفاته - فى التدريس بالعادلية ولما خرجت الوظيفة عنه تألم ؛ ورحل إلى اليمن ، غضبا على أهل دمشق ، وأخذ معه الشرح الذى بقى مخروما بين الناس .

* وضع له أبو حيّان شروحا مستوفاة ، منها « التذليل والتكميل فى شرح

التسهيل ، و« التنخيل » الملخص من شرح التسهيل ^(٦) .

* وشرحه ابن شيخ العوينة ^(٧) ، ولم يكمله ^(٨) .

(١) انظر : الغيث المسجّم ١ / ٦٨ ، وفى الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٩٤ ذكر أنه لم يكملها .

(٢) الغيث المسجّم ١ / ٧١ ، وأعيان العصر ٤ / ٦٤٢ .

(٣) انظر : بغية الوعاة ١ / ١٣٤ ، وكشف الظنون ١ / ٤٠٥ ، ومقدمة شرح التسهيل ١ / ١٧ .

(٤) أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، جمال الدين ، الطائى ، الجياني (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) أحد

الأئمة فى علوم العربية ، وصاحب الألفية . انظر : الأعلام ٦ / ٢٣٣ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٣٤ .

(٥) أبو بكر بن يعقوب بن سالم ، الديرى ، الرحبي (ت ٧٠٣ هـ) نحوى ، طيب ، له مصنفات .

انظر : الوافى بالوفيات ١٠ / ٢٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٧٧ .

(٦) الوافى بالوفيات ٥ / ٢٨٠ ، وراجع عن شراح التسهيل : كشف الظنون ١ / ٤٠٥ ، وتاريخ

الأدب العربى ، لبروكلمان ق ٣ / ٢٧٧ .

(٧) أبو الحسن ، على بن الحسين بن قاسم ، زين الدين ، الموصلى (٦٨١ - ٧٥٥ هـ) فقيه ،

نحوى ، أصولى ، مفسر ، نظم « الحاوى الصغير » وغيره .

انظر : أعيان العصر ٣ / ٣٣٥ ، والأعلام ٤ / ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٧٧ .

(٨) أعيان العصر ٣ / ٣٤٥ ، والوافى بالوفيات ٢٢ / ٦٧ .

وإذا كان الصفدى لم يذكر أنّ له إسهاما فى شرح التسهيل فإنّ نسبة تكميل الشرح إليه من الإمام السيوطى - وهو من هو توثيقا ، وإتقانا - لا يمكن أن يكون بلا أساس ، وبخاصّة أنّ الإمام السيوطى من أكثر المؤرخين إحاطة بكتب الصفدى . وسأثبت هنا ما جاء من نصوص الكتابين الآخرين ؛ لتبيّن منها فكر المؤلف النحوى ، وطريقة تناوله للقواعد .

التعليقة على الحاجبية

جاء فى الغيث المسجّم خمسة نصوص من هذا الكتاب ، وهى :

النص الأول عن المبتدأ وسبب رفعه (١)

« والمبتدأ قال الشيخ بدر الدين ابن مالك (٢) : هو الاسم المجرّد عن العوامل اللفظية ، غير الزائدة ، مُخْتَبَرًا عنه ، أو وصفا رافعا لمكتف به . وقد اختلف فى رافعه :

فقيل : الابتداء ، وهو جعلك الاسم أوّل الكلام ، وهذا أمر معنوى ، والعامل المعنوى لم يأت على النحاة إلاّ فى موضعين : هذا ، والثانى « وقوع الفعل المضارع موقع الاسم ؛ حتى أُعْرِبَ ، وهذا قول سيبويه (٣) ، وأكثر البصريين ، وأضاف الأخصّش إليهما موضعا ثالثا ، وهو عامل الصفة ؛ فذهب إلى أنّ الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع ، ويتنصب لكونه صفة لمنصوب ، وينجر لكونه صفة لمجرور ، وكونه صفة فى هذه الأماكن معنى يعرف بالقلب ، وليس للفظ فيه حظ ، وما أحسن قول القائل :

(١) الغيث المسجّم : ١ / ٦٨ .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الله ، ابن الناظم (ت ٦٨٦ هـ)

نحوى ، عروضى ، بلاغى ، طبع له شرح ألفية أبيه ، و « المصباح » فى المعانى والبيان . انظر : الأعلام ٧ / ٣١ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٣٩ .

(٣) أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، البصرى ، الحارثى بالولاء ، (١٤٨ - ١٨٠ هـ) إمام النحاة ، و أول من بسط علم النحو .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي [١٧١ - ١٨٠] ، ١٥٤ ، والأعلام ٨١/٥ ، ومعجم المؤلفين ٨ /

قَالُوا : أَحَبُّ حَبِيبًا مَا تَأَمَّلَهُ فَكَيْفَ حَلَّ بِهِ لِلشُّقْمِ تَأْيِيرٌ ؟
 فَقُلْتُ : قَدْ يَعْمَلُ الْمَعْنَى لِقُوَّتِهِ فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ رَفْعًا ، وَهُوَ مَشْتَوْرٌ
 وقيل ^(١) : رافع المبتدأ التجرؤد عن العوامل ، وليس بشيء ؛ إذ العدم لا يكون
 علة للوجود ، وفيه نظر .

وقيل : رافعه الخبر ، وهو باطل ؛ لأنَّ الخبر متأخر عنه وضعاً .

وقيل : بل هما مترافعان .

وقيل : الابتداء رافعهما ، وهو ضعيف ؛ لأنَّ المعنى ما له هذه القوة وقيل :
 الابتداء رفع المبتدأ والمبتدأ رفع الخبر ، وهو أقرب الأقوال وقد استوفيت هذه
 المسألة في التعليق لى على الحاجبية .

النص الثانى عن المفعول به ^(٢)

« قال الشيخ جمال الدين ابن الحاجب ^(٣) : هو ما وقع عليه فعل الفاعل .
 قال النيلي ^(٤) فى الشرح : يريد بالوقوع : التعلق ، لا المباشرة والأخرج مثل
 أردت الطلاق ؛ لعدم المباشرة ، واحترز بقوله « عليه » من الظرف ؛ لأنَّ الفعل يقع
 فيه ، لا عليه ، ومن المفعول له ؛ فإنَّ الفعل يقع لأجله ، ومن المفعول معه ؛ لأنَّه يقع
 معه ، لا عليه ، ومن المفعول المطلق ؛ لأنَّه نفس الفعل الواقع من الفاعل .
 وقيل : المفعول به : هو المقول فى جواب مَنْ سأل : بمن تعلق هذا الفعل ؟
 فيقول المجيب : بزيد ؛ فلتقيده فى السؤال والجواب بالباء سُمى المفعول به .
 قلت : كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من إيراد عبد القاهر

(١) قبل هذه الفقرة مُنْحَ فقهية عن غسل الإناء إذا وَلَغَ فيه الكلب ؛ ليبين منها أنَّ دليل النحاة واه ،
 كدليل الفقهاء ، وأنَّ الظاهرة لا تغل .

(٢) الغيث المسجم : ١ / ٢٣٣ .

(٣) أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبى بكر (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ) فقيه مالكي من كبار علماء
 العربية ، صاحب « الكافية الشافية » . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٦٤ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ٢٤ ،
 وفوات الوفيات ٣ / ٤٢ ، والوفاء بالوفيات ١٩ / ٤٨٩ ، والمنهل الصافي ٧ / ٤٢١ ، والدليل الشافى ١
 / ٤٤٠ ، والأعلام ٤ / ٢١١ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٦٥ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

الجرجاني في إعراب « خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ » ؛ لأنه قال : العالم هنا مصدر ، لا مفعول به ؛ لأنَّ المفعول به : هو الذى كان موجودا ، وأثر فيه الفاعل شيئا آخر بفعله ، والمصدر : هو الذى لم يكن موجودا ، بل كان عَدَمًا محضًا ، والفاعل مُوجِدُهُ ، ومُخْرِجُهُ من العَدَمِ إلى الوجود ، بفعله ، و« العالم » فى قولنا : « خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ » كذلك ، فكان مصدرًا .

واعترض عليه بأنه : لو كان مصدرًا لكان نفس الخلق ، ولا يجوز أن يكون ذلك لوجهين :

أحدهما : أننا نعلم العالم ، مع الشك فى كونه مخلوقًا لله تعالى ، إلى أن نعلم ذلك بدليل منفصل .

فالعالم على هذا معلوم ، وكونه مخلوقًا له تعالى غير معلوم ؛ لتوقفه على الدليل ، والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ، فكان الخلق غير العالم .

الثانى : أن الله تعالى يوصف بالخلق ، فلو كان الخلق العَالَمَ ؛ لكان الله موصوفًا بالعَالَمِ ، وهو لا يجوز ؛ لأنه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث ، أو قدم العالم .

قلت : الجواب عن الإيراد الذى أورده الإمام عبد القاهر : هو أن الكلام إنما هو فى اصطلاح النحاة ، وهذا المصطلح إنما هو فيما يعرض لأواخر الكلم من الرفع والنصب والجر ؛ لاتصاف الكلمة تارة بالفاعلية ، وتارة بالمفعولية ، وتارة بالإضافة ، إلى غير ذلك ، فإذا قلنا : خلق الله السموات والأرض قلنا : هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها فى اصطلاحنا فعلا ، وفاعلا ، ومفعولا ؛ فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ، ونصبنا السموات ، والأرض على المفعولية ؛ لوقوع فعل الفاعل عليهما ، ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقفناها على هذه الألفاظ أن يكون المعنى فى الأصل قد وقع ، وتجدد ؛ لأنَّ الألفاظ أدلة على المعانى ، والدليل غير المدلول ؛ ولأنَّ الاسم غير المسمى ، والألزم احتراق فم من تلفظ بالنار ، ولزم إذا قلنا : أعدم الله العالم ، وأقام القيامة ، وأمات زيد أن يكون هذا كله قد وقع الآن ، وتجدد ، ونحن نجد هذا باطلا ، على أنني أعتقد أن الإمام - رحمه الله - كان يعتقد بطلان هذا الإيراد ؛ وإنما أورده مغالطة ، وإظهار صناعة ، فى البحث ، لا غير .

واختلف في ناصب المفعول به ، فمذهب سيبويه أنه الفعل ولذلك تعددت المفاعيل ، بحسب اقتضاء الفعل لها ؛ لأنَّ الفعل إن اقتضى مفعولا نصبه ، أو اثنين نصبهما ، أو ثلاثة نصبها ، ومذهب ابن هشام ^(١) أنه الفاعل ؛ لأنه الذي أثر فيه في المعنى ، فيؤثر فيه في اللفظ .

قلت : وهذا ليس بشيء ؛ لأنَّ الفاعل يُضْمَر ، والمضمر لا يعمل في المظهر ؛ ولأنَّهم قسموا الفعل إلى لازم ، ومتعدِّ ؛ فدلَّ على أنَّ العمل له .

ومذهب الفراء ^(٢) أنه الفعل والفاعل ، قياسا على الابتداء والمبتدأ في الخبر ، والشرط وحرف الشرط في الجزاء ، على قول من يراه .

ومذهب الأخفش أنَّ العامل فيه هو الفاعلية ، وليس بشيء والصحيح مذهب سيبويه ، وقد أشبعت القول على ما يتعلَّق بهذا في التعليقة على الحاجبية .

النص الثالث عن ما لا ينصرف ^(٣) في إعراب قول الطُّغْرَائِي ^(٤) :

وَالرُّكْبُ مَيْلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرِبٍ صَاحٍ ، وَأَخْرَ مِنْ خُمْرِ الْكَرَى نَجِيلٍ

قال الصفدي : « وآخر : الواو عاطفة ، عطفت آخر على طَرِبٍ ولم ينجر ؛ لأنه غير منصرف ، فعلاصة الجر فيه فتحة ، وإنما قلنا : إنه غير منصرف ؛ لأنَّ فيه علتين فرعيتين من العلل التسع ، وهما : العُدْل ، والصفة ؛ والعدل فيه تحقيقي ؛ لأنَّ آخر

(١) أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، جمال الدين (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) من أئمة النحو ، صاحب « معنى اللبيب » .

انظر : أعيان العصر ٣ / ٥ ، وفيات السلاوى ١ / ٣٦٤ ، وتذكرة النبيه ٣ / ٢٣٦ ، والذيل التام ١٧٥ ، والأعلام ٤ / ١٤٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٦٣ .

(٢) أبو زكرياء ، يحيى بن زياد بن عبد الله (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) إمام العلماء الكوفيين في النحو واللغة والأدب ، له مؤلفات .

انظر : نور القبس ٣٠١ ، والتميز والفصل ١ / ٢٤٣٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١١٨ ، والأعلام ٨ / ١٤٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٩٨ .

(٣) الغيث المسجَّم ١ / ٣٠٤ .

(٤) أبو إسماعيل ، الحسين بن علي بن محمد ، مؤيد الدين ، الأصبهاني (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) شاعر ، من الوزراء الكتاب ، صاحب لامية المعجم . انظر : الوافي بالوفيات ١٢ / ٤٣١ ، والأعلام ٢ / ٢٤٦ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٣٦ .

من باب أفعال التفضيل ، وهذا الباب شرطه ألا يستعمل إلا مضافا ، أو بالألف واللام ، أو بمن ؛ ولهذا لَحَنُوا أبا نُؤاس ^(١) في قوله ^(٢) :

كَأَنَّ صُغْرَى ، وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَضْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

لأنه استعمل أفعال التفضيل بغير شرطه ، وأجاب ابن أبي الحديد رادًا هذا القول على ابن الأثير ، في المثل السائر بأن قال : لا يُنْكَرُ أَنْ كَثِيرًا مِنْ أئمة العربية طَعَنَ فِي هذا البيت ، ولكن انتصر له كثير منهم ، فقالوا : وجدنا فَعَلَى أَفْعَل - في غير موضع - واردة بغير لام ، ولا إضافة ، ولا مِنْ ، مثل « دُنْيَا » ، في قول الرَّاجِز ^(٣) :

فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتْ

وقول الآخر ^(٤) :

وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيِّ وَمَكْرَمِيَّةٍ [يَوْمًا سَرَاةً كِرَامِ النَّاسِ فَاذْعِينَا]

وقول الآخر ^(٥) :

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا ، وَهِيَ مَقْبَلَةٌ

وقالوا : طُوِي لَكَ .

وفي البيت وجه آخر ، وهو أَنْ تكون « من » في قوله « مِنْ فَوَاقِعِهَا » زائدة ، على مذهب أبي الحسن ^(٦) ، في زيادة « مِنْ » في الإيجاب ^(٧) ، فإنه يذهب إلى

(١) أبو علي ، الحسن بن هانيء بن عبد الأول الحكمي (١٤٦ - ١٩٨ هـ) شاعر العراق في عصره ، عالم ، فقيه ، محدث . انظر : جمهرة أنساب العرب ٤٠٨ ، والأغاني ٣ / ٢٠ ، ونهاية الأرب ٤ / ٣٨ ، وأبيات المغنى ٣ / ٤٢ ، ومروءة الجنان ١ / ٤٤٩ ، والأعلام ٢ / ٢٢٥ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٣٠٠ .
(٢) ديوانه ٧٢ .

(٣) الرجز للعجاج . راجع تخريجه في شرح التسهيل ٣ / ٦٤ .

(٤) نسب البيت للمرقش الأكبر ، وليشامة بن حزن النهشلي . راجع تخريجه في المصدر السابق .

(٥) لم أهدد لقائله ، ولا لتكلمته ، والشطر في الفلك الدائر ٤٣ .

(٦) سعيد بن مسعدة ، الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) نحوي ، لغوي ، أديب ، عروضي .

انظر : نور القبس ٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٠٦ ، والوافي بالوفيات ١٥ / ٢٥٨ ، والأعلام ٣ /

١٠١ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٣١ .

(٧) راجع شرح ابن عقيل ٢ / ١٧ .

ذلك ، ويحتج بقوله تعالى : ﴿ فِيهَا مِنْ بَرٍّ ﴾ ^(١) ، أى فيها برد ، وهذا يرجح أن يكون « كبرى ، و صغرى » فى البيت مضافتين ، وقد وقع الاتفاق على جوازه . قلت : قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس ^(٢) : هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل ، أما إيراده « دنيا » وأخواتها فكل وجوهها مذكورة فى كتب النحاة ، بما يعنى عن الإطالة بذكره ، بخلاف صغرى وكبرى ، وأما قوله بزيادة « مِنْ » فكأنه يظن أن مِنْ إذا كانت زائدة كان الجر بالإضافة ، أو كانت الإضافة باقية ، وهذا لا وجه له ، وإنما الجر بحرف الجر ؛ لأن حروف الجر لا تُعَلَّقُ . وأما زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه فلم يقل به أحد إلا فى مثل « لا أبا لك » على شذوذ ، وليس هذا منه ، ولا يريد الأخفش بقوله : إن « مِنْ » تزداد فى الإيجاب ما أراده ابن أبى الحديد . أ هـ .

قلت : قال النحاة : وربما استعملوا هذه الصفات استعمال الأسماء ، فحذفوا الألف واللام ، نحو قولهم « دنيا » ؛ لأنها - وإن كانت صفة - فقد غُلِبَتْ ، وصارت بمنزلة الأسماء غير الصفات ، ومثله جُلِّي ، وأنشدوا الأبيات التى أنشدها ابن أبى الحديد ، وأما من قرأ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(٣) بغير تنوين ، ومن أنشد ^(٤) :

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حُسْنَى بِسُوءَى

(١) سورة النور ٢٤ : ٤٣ .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن محمد (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) النحوى ، شيخ العربية بالديار المصرية . انظر : أعيان العصر ٤ / ١٩٤ ، وتالى وفيات الأعيان ١٤٣ ، والأعلام ٥ / ٢٩٧ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٨٣ .

(٤) رواية البيت فى شرح الحماسة للمرزوقى ١ / ٣٨ ، وفى اللسان ٥ : ٩٦ / ١ .

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حُسْنَى بِسُوءَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَلْظِ بِلِينِ
ولا شاهد فيه على هذه الرواية ، وفى خزنة البغدادى « مِنْ حُسْنَى بِسُوءَى » أوردها القالى فى أماليه ، وأبو تمام فى أول حماسته ، وسوءى : مصدر كالرُجْعَى ، والبُشْرَى ، وليس مؤنث أسوأ . راجع خزنة الأدب ٦ / ٤٣٤ ، و ٨ / ٣١٤ ، والبيت لأبى العول الطهوى : وهو شاعر من تميم . انظر فى ترجمته أعلام تميم ٤٢٦ .

فليستا بتأنيث أحسن ، وأسوأ ، بل هما مصدران كالرُجعى ، والبُشْرِى .
وقد اختلف النحاة فى الصرف ما هو ؟

فقال قوم : التنوين وحده . وقال آخرون : الجر والتنوين .

واختار الأول جمال الدين محمد ابن مالك ^(١) ، والدليل على أنه أقوى من أربعة أوجه :

الأول : أنه مطابق لاشتقاق اسم الصرف ؛ فإنه مأخوذ من صريف ناب الإبل ،
والبَكْرَة ، والقلم : وهو الصوت الذى يسمع من هذه الأشياء ، قال الشاعر ^(٢) :

[مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا] لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ فَغَوٍ بِالْمَسَدِ

يعنى : البَكْرَة .

الثانى : أن الاسم الذى لا ينصرف يدخله الجر مع الألف واللام ، والإضافة ،
مع وجود مانع الصرف فيه .

الثالث : أن الشاعر إذا اضطرَّ إلى التنوين فى المرفوع والمنصوب نَوَّنَ ، ويقال :
اضطرَّ إلى ذلك ، ولا جَرَّ .

الرابع : أنه إذا اضطرَّ إلى التنوين فى الجر جَرَّ ، ونَوَّنَ ، ولو كان الجر من
الصرف لفتح ونَوَّنَ ، وإنما كان باب « ما لا ينصرف » ممنوعا من الجر ، والتنوين
قياسا على الفعل ، إذ لا جَرَّ فيه ، ولا تنوين ؛ لكون الفعل فرعا على الاسم ، على
الصحيح ، والعلل المانعة من الصرف كلها تتفرَّع على ما سواها ؛ فإذا دخلت على
الاسم ألحقته بالفرعية ، وخلصته من الاسمية ، إلا بقية ؛ فهذا أُعْرِبَ إعراب الفعل ،
ومُنِعَ ما مُنِعَ منه الفعل ، فإذا « أضيف ، أو دخلته الألف واللام ، أو من » قويت
الاسمية فيه ، وتمحَّض فيها ؛ فدخل فيه الجر .

وإنما قلت : إن العلل المانعة من الصرف فروع ؛ لأنَّ العَدْلَ فرع على المعدول
عنه ، سواء كان تقديرا أو تحقيقا ، والصفة فرع على الموصوف ، والتأنيث فرع على

(١) انظر : شرح التسهيل ١ / ٤١ .

(٢) البيت للناطقة فى اللسان « صرف » ٩ / ١٩١ ، وهو من شواهد سيويه ، انظر : تحصيل عين

الذهب ٢٢٢ ، وفى الحاشية تخريجه .

التذكير ، والمعرفة فرع على النكرة والعُجْمَة فرع على العربية ، والجمع فرع على المفرد ، والنون والألف الزائدتان فرعان على ما زيدتا عليه ، ووزن الفعل فرع على وزن الاسم ، فإذا حصل في الاسم عِلْتَان من هذه شابه الفعل في الفرعية ؛ فَأُعْطِيَ مَا أُعْطِيَ ، وَمُنِعَ مَا مُنِعَ ، وَإِنَّمَا تَبِعَ التَّنْوِينَ الجَرَّ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ جُرَّ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ لَاتَّبَسَ بالمضاف إلى النفس .

وبالجملة ففي باب « ما لا ينصرف » مباحث دقيقة ، استوفيتها في التعليقة على الحاجبية ، من أول الباب إلى آخره .

النص الرابع عن الفاعل (١)

« قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس : الفاعل أصل المرفوعات ، وباقيها محمول عليه ، خلافا لابن السَّرَّاج (٢) ، وأبي علي (٣) ، ومن رأى رأييهما ؛ والدليل على ذلك أنَّ المعنى الذى دخل الإعراب الكلام لأجله ، وهو رفع اللبس يوجد فى الفاعل أكثر من المبتدأ ؛ لِأَنَّ الفاعل لو لم يرفع لاتبس بالمفعول ، ولا كذلك المبتدأ ؛ فكان الفاعل أصلا فى الرفع ، وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه ، وفعله ؛ فَإِنَّهُ قال : واعلم أَنَّ الاسم أول أحواله الابتداء ، فنص - هنا - على أَنَّ المبتدأ قبل الفاعل ، وقدم فى ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدأ . أ هـ قلت : وَإِنَّمَا اخْتَصَّ الفاعل بالرفع لأَوْلِيَّتِهِ ، وَقَوَّتِهِ ، وَقَلْتِهِ .

واخْتَصَّ المفعول بالنصب لتأخره ، وضعفه ، وكثرته ؛ ولذلك قالوا : رجل ضُحْكَةٌ - بالتحريك - للذى يضحك من غيره كثيرا ، وقالوا رجل ضُحْكَةٌ - بالسكون - للذى يُضْحَكُ منه فحزَّكوا الفاعل لقوّته ، وسكَّنوا المفعول لضعفه ،

(١) الغيث المسجم : ١٠ / ٢ .

(٢) أبو بكر ، محمد بن السرى بن سهل (ت ٣١٦ هـ) أحد أئمة اللغة والأدب ، طبع له كتاب «الأصول فى النحو» .

انظر : الأعلام ٦ / ١٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٩ .

(٣) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، الفارسى (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمة فى علم العربية ، له كتاب «الإيضاح» . انظر : الوافى بالوفيات ١١ / ٣٧٩ ، والأعلام ٢ / ١٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٠٠ ، و١٣ / ٣٨٠ .

وإنما قلت : لأوَّليته ؛ لأنه الذى يُوجدُ الفعل ، قبل أن يكون مفعولا . وإنما قلت : وقوته ؛ لأنه الذى يصدر منه الفعل ، والمفعول يقع عليه الفعل . وإنما قلت : وقيلته ؛ لأنَّ الفاعل الواحد يدير مفاعيل كثيرة . تقول : صَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا ، فزيد فاعل ، وعمرا مفعول به ، ويوم الجمعة ظرف زمان ، وداخل داره ظرف مكان ، وضربا شديدا مفعول مطلق ، وتأديبا مفعول لأجله ، ومن هذه الأدلَّة يظهر عكسها ، فى النصب ، ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أنَّ الرفع أثقل الحركات ؛ لأنه لا يتمُّ إلاَّ بضم الشفتين ، وذلك لا يتمُّ إلاَّ بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرف الشفة ، والجرَّ يكفى فى تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة ، والفتح يكفى فيه العمل الضعيف لتلك العضلة ، فلذلك أعطوا الأثقل للأقلِّ ، وأعطوا الأخفَّ للأكثر ، ولا شكَّ فى أنَّ المرفوعات أقل من المنصوبات ، وقال بعض النحاة من أهل الكوفة : إنَّ الفاعل يقدِّم على فعله وضعا ، كما يقدِّم طبعا ، يقولون فى مثل « زيد قام » : إنَّه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدأ والخير ، وهو دليل لا بأس به .

والصحيح أنَّ الفعل مقدِّم على الفاعل ، بمعنى ما ذكره ؛ لأنَّ الفعل هو مؤثر الرفع فى الفاعل ، والمؤثر مقدِّم على المتأثر طبعا ، فليقدِّم وضعا ، فإذا وقع الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل إلى باب المبتدأ والخبر ، وأُغرب « زيد » مبتدأ ، و« قام » فعل ماض ، وفاعله ضمير يرجع إلى المبتدأ ، والجملة خبر وإلاَّ لزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أنَّ لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيرهِ ، وأنَّ يقال : الزيدان قام ، والزيدون قام ؛ ولَمَّا قيل : « الزيدان قاما ، والزيدون قاموا » علم أنَّ ذلك مبتدأ ، وأنَّ الضمير هو الفاعل .

وهذه المباحث ملخَّصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية .

النص الخامس عن النداء (١)

« يا حرف نداء ، وحروف النداء خمسة ، وهى : الهمزة ، وأنى ، ويا ، وأيا ، وهَيَّا .

(١) الغيث المسجم : ٢ / ٣٧٩ .

أمَّا الهمزة فإنَّها للقريب ، مثل الذى يليك ، وأنى : لأبعد منه كالذى تراه قريبا ،
ويا : للبعيد قليلا ، وأيا : لأبعد منه ، وهى للبعيد الذى يحتاج إلى مدِّ الصوت ، و«يا»
تستعمل للجميع .

وقد يُنزل البعيد قريبا ، والقريب بعيدا ؛ لفوائد يعرفها أرباب المعانى .

وقد اغترض على النحاة أجمع فى قولهم :

« الكلام لا يتركب من اسم وحرف » بمثل « يا زيد » فإنه بالإجماع منهم

كلام ، وقد تركب من اسم وحرف .

والجواب : أن هذه أسماء أفعال ؛ لأنَّ « يا » بمعنى : أقبل ، كما أنَّ « صه »

بمعنى : اشكث .

ومن قال : إنَّها أسماء أفعال خلص من هذا الإيراد ، ولكن تُعكَّر عليه

« الهمزة » ؛ فإنه ما لهم اسم فعل من حرف واحد .

ومن قال : إنَّها حروف أجاب عن هذا الإيراد بأنَّ التقدير فى « يا فلان » : أدعو

فلانا ؛ وأورد عليه أنَّ « يا زيد » صيغة إنشاء ، ومتى قُدِّرَ : « أدعو زيدا » انقلب من

الإنشاء إلى الإخبار واحتمل الصدق والكذب ، وهذا باطل ؛ فإنَّ من قال : يا زيد ،

لا يقال له : صدقت ، ولا كذبت .

والجواب : أنَّ الصيغة مشتركة بين الإنشاء والإخبار ؛ لأنَّ المتكلم إذا قال :

« بعث » فهذا مشترك بين الإنشاء والإخبار ، إذ يحتمل أن يكون قد أخبر بأنَّه وقع منه

بيع فى زمن ماض ، فيقال له : كذبت ، ما وقع منك بيع ، أو صدقت ، وقع منك

ذلك .

وما يصرف هذه الصيغة إلى الإنشاء أو إلى الإخبار إلاَّ القرينة ، مثل : ما إذا

كان إنسان قد ساومه آخر ، وطلب منه البيع ، فيقول : بعث . فهنا تعيَّنت الصيغة

بالقرينة إلى الإنشاء .

قالوا : سلَّمنا أنَّ الصيغة مشتركة بين الإنشاء والإخبار ، ولكن قولنا : « يا زيد »

خطاب مع زيد ، ومتى قُدِّرَ : أدعوا زيدا انقلب الخطاب لغيره ، وهذا مشكل .

وقد استوفيت البحث فيه فى أوَّل التعليقة على الحاجبية .

والمنادى منصوب الموضع واللفظ ، أمَّا إذا كان علما مفردا مثل « يا آدم » بنى

على الضم ، أو مفردا - ويراد بالإنفراد هنا أن لا يكون مضافا ؛ فإنَّ المنادى المضاف منصوب ، مثل :

يا عبدَ اللهِ - وإلَّا فالمجموع ، والثنية غير مفرد ، وهو مرفوع ، يقال : يازيدون ، ويا زيدان ، فهذا منصوب الموضع .

وأما إذا كان غير مفرد ، أو علم ، فإنه منصوب اللفظ ، وإنما بُنِيَ المفرد على الضم ؛ لأنَّه أشبه المضمّر ، والمضمّر مبنى ، ووجه الشبه أنّه مفرد ، كما أنّه مفرد ، وأنَّه مخاطب ، كالكاف في أدعوك ، وأناديك ، وأنَّه معرفة ، كما أنّه معرفة ، ولأنَّه صار مع حرف النداء كالأصوات ، نحو : حَوَّبُ (١) ، وهَيْدُ (٢) ، وهَلَا (٣) ، وَعَدَسُ (٤) .

وإنَّما بنى على حركة إشعارا بطروء الحركة ، وتمييزا له على ما لم يدخله الإعراب ، نحو « مَنْ ، وَكَمْ » ، وإعلاما بعد الثبوت فى بنائه ، وإنَّما كانت رفعا ؛ لأنَّه لو كسر أشبه المضاف إلى ياء المتكلم ، ولو فتح لأشبه المضاف إذا تُودى فى : يا غلامَ زيد ؛ ولأنَّه أُعْطِيَ أقوى الحركات جبرا له ، لَمَّا أُخِذَ منه الإعراب فالمنادى إن كان معرفة بُنِيَ على الضم ، نحو : يا اللهُ ، يا مُحَمَّدُ ، يا آدَمُ . وما أحلى قول ابن عُثَيْنِ (٥) :

(١) الحَوَّبُ : الجمل ، ثم كثر حتى صار زجرا له .

يقال للبعير إذا رُجِرَ : حَوَّبَ ، وحَوَّبَ ، وحَوَّبُ ، وحَابَ .

ويقال للناقة : حَلَّ - بالجزم - وحَلَى ، وحَلَى . انظر : اللسان « حوب » ١ / ٣٤٠ .

(٢) هَيْدُ ، وهَيْدٌ ، وهَيْدٌ ، وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ - وهَيْدٌ . انظر : اللسان « هيد » ٣ / ٤٤٢ .

(٣) هَلَا : زجر للخيل ، أى : تَوْسَمَى ، وتَنْحَى ، وقد يستعار للإنسان .

انظر : اللسان « هلا » ١٥ / ٣٦٣ .

(٤) عَدَسٌ ، وَحَدَسٌ : زجر للبعال . انظر : اللسان « عدس » ٦ / ١٣٢ .

(٥) أبو المحاسن ، محمد بن نصر الله بن مكارم ، شرف الدين (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ) من كبار

شعراء عصره ، له ديوان . انظر : الروضتين ١ / ٢٤٠ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ٨١ ، والتكملة لوفيات النقلة

٣ / ٢٤٥٤ ، والمقفى الكبير ٧ / ٣٢٨ ، والأعلام ٧ / ١٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٧٩ .

فى الأصل « ابن مادة » والتصحيح من الديوان ٢٢١ ، وفى حاشيته : ابن مازة هو برهان الدين صدر

جهان محمد بن أحمد بن عبد العزيز ، رئيس الحنفية ببخارى ، وفيها مصادر ترجمته .

مَالُ ابْنِ مَازَةَ دُونَهُ ، لِعُقَاتِيهِ خَوْطُ الْقَتَادَةِ ، أَوْ مَتَالُ الْفَرَقِدِ
 مَالُ لُزُومِ الْجَمْعِ يَمْنَعُ صَرْفَهُ فِي رَاحَةٍ مِثْلُ الْمُتَادَى الْمُفْرَدِ
 وإنَّ كَانَ مِضَافًا نَصِبَتْ ، فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، يَا غَلَامَ زَيْدٍ ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ
 مَعْرُفَةً ، وَلَا مَفْرَدًا ، وَهُوَ نَكْرَةٌ لَمْ يَقْصِدْ لَهَا مَعْيَنَ ، كَقَوْلِ الْأَعْمَى : يَا رَجُلًا ، خِذْ
 يَدِي . فَإِنَّهُ يَنْصَبُ ، وَيَنْوِّنُ ، فَتَقُولُ : يَا رَاكِبًا ، يَا سَاهِيًا ، يَا نَائِمًا .

معاني الواو

جاء في الغيث المسجّم من « كراسة » معاني الواو نصّان .

النص الأول (١)

في إعراب قول الطُّغْرَائِي :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ وَجَلِيَّةُ الْفُضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
 قال الصفدي : « الواو تكون تارة للعطف ، كهذه ، وهي للتشريك في الحكم ،

بلا ترتيب ، فإنَّ الواو في قوله تعالى :

﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾ (٢) ما أفادت الترتيب ، وقيل : لعلَّ السجود كان قبل

الركوع ، في ذلك الزّمان ، ثم نسخ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ (٣) ، والصحيح أنَّ المسيح

عليه السلام ما تُوُفِّي ؛ بل رفعه الله إليه ؛ لأنَّ الخير ورد عن النبي ﷺ أَنَّهُ سَمِنَزَلُ ،

ويقتل الدَّجَّالَ ، وعلى هذا لا ترتيب في الواو ، ولكن قال ابن عباس (٤) ، ومحمد

ابن إسحاق (٥) : متوفيك : أى ميمتك ، والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود إلى

(١) الغيث المسجّم ١ / ٦٨ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٥٥ .

(٤) أبو العباس ، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، جيز الأئمة (٣ ق . هـ - ٦٨ هـ) الصحابي

الجليل ، الفقيه ، العالم ، المفسر . انظر : الاستيعاب ٣ / ٩٣٣ ، ومروج الذهب ٣ / ١٠٨ ، وأسد الغابة

٣ / ١٩٢ ، ومعالم الإيمان ١ / ١٠٧ ، والأعلام ٤ / ٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٦٦ .

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار ، المطلبى بالولاء (ت ١٥١ هـ) مؤرخ ، وهو صاحب السيرة .

انظر : الأعلام ٢ / ٢٨ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ٤٤ .

قتلك ، ثم أكرمه الله تعالى ، بعد ذلك ، برفعه إلى السماء ، واختلف في مُدَّة الوفاة ، فقال ابن وهب ^(١) : توفي ثلاث ساعات ، ثم رُفِعَ ، وأُخِيْبِي .

وقال محمد بن إسحاق : سبع ساعات ، ثم رفع .

وقال الربيع بن أنس ^(٢) : نَوْمُهُ حَالٌ مَا رَفَعَهُ ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ^(٣) الآية .

وقال أبو بكر الواسطي ^(٤) : المراد : إني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك .

ومنهم من قال : التوفى : أخذ الشيء وافيا ، ولَمَّا علم الله تعالى أَنَّ من الناس من يخطر بباله أَنَّ الذى رفعه الله إِنَّمَا هو روحه ذكر ذلك ؛ ليدلَّ على أَنَّ الله رفعه بجسده إليه .

ومنهم من قال : كل من رُفِعَ ، وانقطع خيره وأثره ، عن الأرض كان كالتوفى .

ومنهم من قال : فى الكلام حذف مضاف ، تقديره متوفى عمك ، وهو جائز .
وتارة تكون بمعنى رب ، وتارة للقسم ، وتارة تكون واو مع ، وتارة تكون واو الحال ، وتارة تكون ضمير الفاعلين فى مثل « يقومون » أو علامة الرفع ، فى مثل « الزيدون » ، وتارة تزداد فى مرسوم الخط ، فى مثل عمرو ، فرقا بينه وبين عمر ، فإذا دخل تنوين النصب عَمْرًا فلا دخول لها ؛ لأنَّ الفرق حاصل ؛ لكون عَمْرٍ غير منصرف .

(١) أبو محمد ، عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهرى بالولاء ، المصرى (١٢٥ - ١٩٧ هـ) مفسر ، فقيه ، محدث . انظر : التاريخ الكبير ٣ / ١ / ٢١٨ ،
وحلية الأولياء ٨ / ٣٢٤ ، وترتيب المدارك ٢ / ٤٢١ ، وصفة الصفوة ٤ / ٢٨٤ والأعلام ٤ / ١٤٤ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٦٢ .

(٢) الربيع بن أنس ، البكرى ، الحنفى ، البصرى (ت بعد ١٣٧ هـ ٩ محدث ثقة ، روى له الأربعة . انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٢ / ٣٦ ، والجرح والتعديل ٣ / ٤٥٤ ، والتاريخ الكبير ٣ / ٢٧١ ، وتاريخ الإسلام [١٢١ - ١٤٠] ٤١٦ ، والوافى بالوفيات ١٣ / ٨٠ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٣٨ .

(٣) سورة الزمر ٣٩ : ٤٢ ، وفى الآية : ﴿وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَنَاهِكُمْ ..﴾

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن سليمان ، ابن الباعثى (ت ٣١٢ هـ) من حفاظ الحديث ، له مسند عمر بن عبد العزيز . انظر : الوافى بالوفيات ١ / ٩٩ ، والأعلام ٧ / ١٩ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٢٠ .

حُكِي : أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَكْتُبُ كِتَابًا ، وَإِلَى جَانِبِهِ آخَرَ ، فَكَتَبَ عَمْرًا بَغِيرَ وَائٍ .
فَقَالَ لَهُ : يَا مَوْلَانَا ، زِدْهَا وَائًا لِلْفَرْقِ .
فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ ، لَقَدْ تَفَضَّلَ مَوْلَانَا بِزِيَادَةِ وَائٍ .
يَعْنِي أَنَّهُ تُفَوِّضِلُ .

وبعضهم يرى أن تتراد بعد لا النافية ، في الجواب .
إذا قيل : هل فعلت كذا ؟ فتقول : لا ، وعافاك الله .
يُحْكِي عَنْ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ^(١) أَنَّهُ قَالَ : هَذِهِ الْوَائِي - هَهُنَا - أَحْسَنُ مِنْ
وَائِي الْأَصْدَاغِ ، فِي حُدُودِ الْمَلَاخِ .
قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ جَمَالَ الدِّينِ أَبُو الْفَرَجِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَوَيْنَا عَنْ عَمْرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ عَرَّسَ : هَلْ كَانَ كَذَا ؟
فَقَالَ : لَا أَطَالَ اللَّهُ بِقَاكَ . فَقَالَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ عَلَّمْتُمْ ، فَلِمَ تَتَعَلَّمُوا ،
هَلَاءُ قُلْتَ : وَأَطَالَ اللَّهُ بِقَاكَ .

وتارة تكون الواو الواو الثمانية في مثل قوله تعالى : ﴿ نَبِيَّتٍ وَأَنْبَارًا ﴾ ^(٣) ،
وفي قوله تعالى : ﴿ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٤) ، وفي قوله
تعالى : ﴿ وَوَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا ﴾ ^(٥) ، بالواو هنا ، ولم يأت بها في ذكر جهنم ^(٦) ؛ لِأَنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ،
وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ ...

وحكى لى بعض الأفاضل ، عن بعض الحكماء ، في المدن الكبرى أنه ألقى

(١) أبو القاسم ، إسماعيل بن عباد بن العباس (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) وزير من الكتاب ، الشعراء .
انظر : الوافي بالوفيات ٩ / ١٢٥ ، والأعلام ١ / ٣١٦ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٧٤ .

(٢) أبو حفص ، عمر بن الخطاب بن نفيل ، القرشي العدوي ، الفاروق (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ)
الصحابي الجليل ، ثاني الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . انظر : الاستيعاب ٣ / ١١٤٤ ،
والمحبر ١٣ ، والإمامة والسياسة ١ / ٢٣ ، والتنبيه والإشراف ٢٨٨ ، والوزراء والكتاب ١٦ ، وأسد
الغابة ٤ / ١٤٥ ، ومآثر الإنافة ١ / ٨٧ ، والأعلام ٥ / ٤٥ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١١٢ .

(٣) سورة التحريم ٦٦ : ٥ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٧٣ .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَوَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا ﴾ [سورة الزمر ٣٩ : ٧١] .

درسا ، فى هذه الآفة الكرفمة ، وقد قال لى فى حق أصحاب جهنم أنهم لَمَّا جاءوها فُفِحَتْ لهم أبوابها ، على التعقوب ؛ لأنَّ الفاء للتعقوب ؛ فلم يمهلوا للدخول ، بل أدخلوا على الفور ، وأما أهل الجنة فإنهم لم يُضْطَرُّوا إلى الدخول ؛ بل أمهلوا ؛ لأنه قال : وفتحت أبوابها .

قلت : انظر إلى هذه الغفلة ، فى الأولى والثانية كونه ظنَّها أولا خارفة عن الكلمة ، ولم تكن من أصلها ، ووجدها ثابتة فى الثانية ، فلم ينكرها ، ونقول : هذه هى تلك ، الحمد لله واهب العقل . أ هـ .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبَعَةَ وَاثَمِنَهُمْ كَلِمَةً ﴾ (١) ، ولعمرى إنَّ هذا استقراء حسن ، وبعض المحققين منع هذا ، وقال : إنما تقع بين المتضادين ؛ لأنَّ التَّيْبَاتِ غير الأبكار ، والآمرين ضد الناهين ، وقال فى قصة أهل الكهف : إنه أتى بالواو مع الثمانية ؛ لأنَّ القول الثالث أقرب إلى الحق ، أو هو الحق لأنه قال فى القولين الأولين : ﴿ رَجَمًا بِالْغَيْبِ ﴾ ، وفى الثالث قال تعالى : ﴿ قُلْ رَبِّىَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ ، وقال فى قصة أهل الجنة : وأثبت الواو ؛ لأنَّ أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها زيادة فى الضيق ، على مَنْ بها ، وأما أبواب الجنة فإنها تُفْتَحُ لأهلها ، قبل دخولهم إليها إكراما لهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْآبُوبُ ﴾ (٢) .

ورُدَّ هذا القول بأنَّ الواو دخلت ، مع تعدد الصفات ، فى قوله تعالى : ﴿ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ (٣) ، ولم تدخل فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ ﴾ الآية (٤) ، ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة .

قلت : لو سقطت الواو من ﴿ وَأَبْكَارًا ﴾ لاختل المعنى ؛ لأنهن لا يكننَّ تبيبات وأبكارا معا ، فاضطر إلى الواو (٥) ؛ لتدلَّ على المغايرة .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٢٢ . (٢) سورة ص ٣٨ : ٥٠ .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٣ ، وقد أورد السيوطى رأيا جيدا للشيخ جمال الدين ابن الزملى فى نسق الصفات . انظر : الأشباه والنظائر ٤ / ٩٨ - ٩٩ .

(٤) سورة الحشر ٥٩ : ٢٣ .

(٥) لفظ الاضطرار - هنا - غير لائق ، فلا ضرورة فى القرآن ، كما نصَّ على ذلك الصفدى .

انظر : الغيث المسجم ١ / ٣٦٦ .

قال الشيخ جمال الدين ابن الحاجب - رحمه الله - : إن انقاضى الفاضل - رحمه الله - كان يعتقد زيادة الواو ، فى هذه الآية ، ويقول : هى واو الثمانية ، إلى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبى الجرد المقرئ^(١) فبيّن له أنه وهم ، وأن الضرورة تدعو إلى دخولها هنا ، وإلّا فسد المعنى ، بخلاف واو الثمانية ، فإنه يؤتى بها ، لالحاجة ، فقال : أرشدتنا ، يا أبأ الجود . أ هـ .

والإمام فخر الدين اعترف بأنّ الواو فى قوله تعالى : ﴿ وَثَامِنَهُمْ كُلَّهُمْ ﴾ واو الثمانية ، وعلى الجملة ، فى الواو مباحث جليلة ، جمعتها فى كراسة ، أضربت عن أثباتها ، هنا خوفاً من الإطالة .

والواو التى فى « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ » قال أبو إسحاق الزجاج^(٢) : سألت أبا العباس المبرّد^(٣) عن العلة فى ظهور الواو ههنا ، فقال : لقد سألت أبا عثمان المازنى^(٤) عمّا سألت عنه ، فقال : المعنى : سبحانك اللهم ، وبحمدك سُبْحَتُكَ »

النص الثانى (٥)

نقل الصفدى عبارة ابن مالك ، فى شرح التسهيل ، فى افتقار الفعل المضارع إلى الإعراب ، جاء منها^(٦) : « والفعل المضارع - وإن كان قابلاً بالتركيب لمعان

(١) غياث بن فارس ، اللخمي (٥٠٨ - ٦٠٥ هـ) مقرئ الديار المصرية فى عصره . انظر : شذرات الذهب ٥ / ١٧ .

(٢) إبراهيم بن السرى بن سهل (٢٤١ - ٣١١ هـ) عالم بالنحو ، واللغة طبع له « خلق الإنسان » . انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٣٤٧ ، والأعلام ١ / ٤٠ ومعجم المؤلفين ١ / ٣٣ ، و١٣ / ٣٥٥ .

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، الشمالى ، الأزدي (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) إمام العربية ، فى بغداد ، فى زمنه ، له « الكامل » ، و« المقتضب » . انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٢١٦ ، والأعلام ٧ / ١٤٤ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١١٤ .

(٤) بكر بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٩ هـ) أحد الأئمة فى اللغة والنحو ، له « الديقاج » ، و« ما تلحن فيه العامة » . انظر : الوافى بالوفيات ١٠ / ٢١١ ، والأعلام ٢ / ٦٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٧١ ، و١٣ / ٣٧٦ .

(٥) الغيث المسجم ١ / ٢١٥ .

(٦) شرح التسهيل ١ / ٣٤ .

يُخَافُ التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الإعراب تقدير اسم مكانه ، نحو « لا تُعْنَ بالجفاء ، وتمدح عَمْرًا » ؛ فإنه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا ، وعن الجمع بينهما ، وعن الجفاء وحده ، مع استئناف الثاني ؛ فالجزم دليل الأول ، والنصب دليل الثاني ، والرفع دليل الثالث ، ويغنى عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب ، والمرفوع ، نحو أن تقول : لا تُعْنَ بالجفاء ومدح عمرو ، ولا تُعْنَ بالجفاء مادحا عَمْرًا ، و لا تُعْنَ بالجفاء ، ولك مدح عمرو .

يقول الصفدى : إنَّما أثبتَّ هذا الفصل بطوله ، من كلام الشيخ جمال الدين ، لما فيه من الفوائد ، وقد خالف الأقدمين في تعليل إعراب المضارع ، ومال إلى هذا الرأي الذى استنبطه ، وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال إلى مذهب المتقدمين ؛ ولكن جمال الدين اجتهد فى الاستقراء ، ولطف القياس ، ومثل « لا تُعْنَ بالجفاء ، وتمدح عَمْرًا » مثال النحاة فى قولهم : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » ، يجوز فى « تشرب » الرفع ، والنصب ، والجزم ؛ أمَّا إذا نصبت فيكون النهى عن السمك فى حال شرب اللبن ، كأنك قلت : لا تأكل السمك شاربا اللبن ، وإذا رفعت يكون النهى عن السمك ، والإباحة فى شرب اللبن ، كأنك قلت : لا تأكل السمك ، ولك شرب اللبن ، وأمَّا إذا جزمت فيكون النهى عن الجمع بينهما ^(١) .

منهج الصفدى فى النحو

من النصوص السابقة التى بقيت لنا من كتب الصفدى النحوية يتبيَّن لنا أنَّ منهج الصفدى فيها لا يختلف عن منهجه فى كتابته التاريخية ، أو النقدية ، فجميعها تصدر عن نبع واحد ، وجميعها نتاج ذهن يقظ ، واع ، فراه :

* يعرض الآراء ، وينقددها ، ويوازن بينها ، ويتتقى أفضلها ، بحسب ما يراه ، هو سواء أكان هذا الانتقاء ، واحدا من الآراء المذكورة ، أم كان رأيا خاصًا به استنبطه باجتهاده ، وسأضرب أمثلة للآراء التى انفرد بها عندما أبين مكانته كعالم فى النحو .

(١) بعد هذا المثال نقل الصفدى مناظرة الجاحظ ، ويوحنا بن ماسويه عن الجمع بين السمك واللبن ، وما يحدثه من أضرار ، وتحدّث عن خصائص المواد فى أفرادها ، وتركيبها . انظر : الغيث المسجّم ١ / ٢١٥ .

- * يذكر الشواهد النحوية التي ذكرها السابقون ، ولكنه يهمل بيان موضع الشاهد فيها ، كعادته في ذكر الشواهد .
- * يثبت كثيرا من النصوص الأدبية التي لها تعلق بالقاعدة ، سواء أ وُزِي بها ، أم استغل مدلولها في توضيح المعنى ؟ .
- * يستطرد إلى ذكر النوادر ، والحكايات ، وعرض بضاعته من المعرفة التاريخية ، وعلوم الطب والحكمة .
- * توثيق المعلومات بنسبتها إلى أصحابها ، وإلى مصادرها من مؤلفاتهم ، مع الأمانة في النقل .

الموضوعات النحوية التي عالجها الصفدى

فيما يلي أقدم ثبوتا بأهم الموضوعات التي يتبن الصفدى قواعدها ، وشرح أصولها ، مرتبا العناوين على حروف المعجم ، ومصادرها من مؤلفاته :

الاستثناء :

- غير : الغيث المسجم ١ / ٢٥٦ .

الاستفهام :

- كم : الغيث المسجم ٢ / ١٧٢ .

اسم المصدر : الغيث المسجم ٢ / ٣٣٥ .

الأسماء الستة : الغيث المسجم ١ / ٢٥٥ .

الأسماء الموصولة :

- حذف صدر الصلة : الغيث المسجم ٢ / ٢٤٦ .

الإضافة اللفظية والمعنوية : الغيث المسجم ١ / ٢٧٠ .

إنَّ وأخواتها :

- حروفها ، وعملها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٦ .

- كسر همزتها وفتحها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٧ .

- دخول اللام في خيرها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٨ .

- تخفيفها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٨ .

- كَفَّهَا عن العمل : الغيْث المسجَم ١ / ٣٥٨ .
 - اتصَالَهَا بنون الوقَاية : الغيْث المسجَم ١ / ٣٥٨ .
 - لَعَلَّ : الغيْث المسجَم ٢ / ٥ ، ٩ .
 - التَّفْضِيل : الغيْث المسجَم ٢ / ٣١٠ .
 - التَّنَازُع في العمل : الغيْث المسجَم ١ / ٨٧ .
- التوكيد :

- كل ، وأحكام التوكيد بها : الغيْث المسجَم ٢ / ٣٧٤ .
 - جميع : الغيْث المسجَم ٢ / ٣٧٥ .
- الجموع :

- إعراب جمع المذكر السالم : الغيْث المسجَم ٢ / ٦٥ .
 - جمع المؤنث السالم : الغيْث المسجَم ٢ / ٨٢ .
- حروف الجر :

- ١ - لات حرف جر عند الكوفيين . الوافي بالوفيات ١٩ / ٤٩٥
 - إلى : الغيْث المسجَم ١ / ٣٧٦ .
 - الباء : الغيْث المسجَم ١ / ١٠٩ .
 - حتى : الغيْث المسجَم ١ / ١٦٢ .
 - ربّ : الغيْث المسجَم ١ / ٢٥٣ .
 - عن : الغيْث المسجَم ١ / ٦٨ ، و ٣٤٨ .
 - في : الغيْث المسجَم ١ / ١٣٩ .
 - من : الغيْث المسجَم ٢ / ٩ .
- الشرط :

- إن ، والفاء في جواب الشرط : الغيْث المسجَم ٢ / ٥٥ .
- لو : الغيْث المسجَم ٢ / ٣٦ .
- لولا : الغيْث المسجَم ٢ / ١٥٢ .
- ما : الغيْث المسجَم ١ / ١٠٩ ، و ١٨١ ، و ٤٠٨ .
- متى : الغيْث المسجَم ٢ / ٩ .

- اعتراض الشرط على الشرط ، ورد الصفدى - الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٩٥ .
الصفة :

- شروطها : الغيث المسجم ١ / ١٦٣ .

- إقامة الصفة مقام الموصوف : الغيث المسجم ١ / ٣٦٧ .

الضمائر :

- عودة الضمير على غير مذكور : الغيث المسجم ٢ / ٢٩٠ .

- عودة الضمير على أحد المتضايقين : الغيث المسجم ٢ / ٣٩١ .

- توكيد الضميرين : نصرة الثائر ٢٨١ .

الظرف :

- عند : الغيث المسجم ٢ / ٧٢ .

- حيث : الغيث المسجم ١ / ٣٨٢ .

- بين : الغيث المسجم ٢ / ٣٤٣ .

- مع : الغيث المسجم ٢ / ٤٣٩ .

العطف :

- أو ، والفرق بين الإباحة والتخير : الغيث المسجم ٢ / ٥٨ .

- الفاء : الغيث المسجم ١ / ٣١٨ .

الفاعل :

- الفاعل أصل المرفوعات : الغيث المسجم ٢ / ١٠ .

- حذف الفاعل : الغيث المسجم ١ / ١٣٤ .

الفعل :

- بناء الفعل للمجهول : الغيث المسجم ١ / ١٣٣ .

- ضبط حرف المضارعة : الغيث المسجم ١ / ٢١٣ .

- إعراب المضارع : الغيث المسجم ١ / ٢١٣ .

- تعدية الفعل على التأويل : الغيث المسجم ١ / ٢٧٩ .

- ضبط فاء الثلاثى الأجوف عند البناء للمجهول : الغيث المسجم ١ / ٣٤٠ .

- فك إدغام المضعف الثلاثى : الغيث المسجم ١ / ٣٤٨ .

- فعل الأمر : الغيث المسجم ١ / ٣٧٤ .
 - فعلا التعجب : الغيث المسجم ٢ / ١٥٠ .
 - سبب حذف حرف العلة في الجزم : الغيث المسجم ٢ / ١٧٢ .
 - أفعال تلزم البناء للمجهول : الغيث المسجم ٢ / ١٨٥ .
- كان وأخواتها :**

- أنواعها ، وأحوالها ، وأحكامها : الغيث المسجم ٢ / ١٩٩ .
- « يريح » الفعل تاما : الغيث المسجم ٢ / ١١٥ .
- ليس : الغيث المسجم ٢ / ١٨٨ .
- أحكام خبر كان وأخواتها : الغيث المسجم ٢ / ٣٦٢ .

المبتدأ والخبر :

- تعريفه ، والعامل فيه : الغيث المسجم ١ / ٦٦ .
- الوصف المعتمد : الغيث المسجم ١ / ١٣٠ .
- تعدد الخبر : الغيث المسجم ١ / ١٣١ .
- تقديم المبتدأ ، وتقديم الخبر : الغيث المسجم ١ / ٢٩٣ .
- الابتداء بالنكرة : الغيث المسجم ١ / ٣٨٣ .

المثنى :

- إعرابه : الغيث المسجم ٢ / ٦٧ ، و ١٨٨ .
- تثنية المشترك وجمعه : صرف العين ٥٧٣ .

المعرب والمبنى :

- بناء الضمائر : الغيث المسجم ١ / ٣٢٥ .
- بناء الفعل المضارع : الغيث المسجم ١ / ٤٣١ .

المفعول :

- المفعول له : الغيث المسجم ١ / ١٨٠ .
- المفعول به ، والرد على عبد القاهر في إعرابه : الغيث المسجم ١ / ٢٣٢ .
- حذف أحد مفعولى ظنّ : الغيث المسجم ٢ / ٣٣٥ .

المنوع من الصرف : الغيث المسجم ١ / ٣٠٤ ، ٣٥٩ ، ٤١٧ ، و ٢ /

. ٢٤٧

النداء : الغيث المسجم ٢ / ٣٧٩ .

المسائل النحوية :

* المسألة الزنبورية : الغيث المسجم ١ / ٣٧٠ .

* متعلق شبه الجملة : الغيث المسجم ١ / ٤١٢ .

* مسائل نحوية : الغيث المسجم ٢ / ١٣٨ .

* ثلاثة عشر مرفوعاً في بيت سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ ، وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ

الوافي ٢٤ / ١٢٠ .

* التعليل لرفع كلمة « كلّه » ونصبها في قول أبي النجم :

قَدْ أَضْبَحَتْ أُمُّ الْخَيْارِ تَدْعِي عَلِيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَضْنَعِ

الوافي بالوفيات ٢٤ / ١٢٠

* « لغز إن هئذ ... » - الوافي بالوفيات ٢٩ / ٣٧١ .

حروف المعاني والحروف المفردة :

الحرف المختص ، وغير المختص : الغيث المسجم ١ / ١٤٩ .

ال : الغيث المسجم ١ / ٤٣٣ .

همزة التسوية : جنان الجناس ٥٥ .

أن : الغيث المسجم ٢ / ١٨٧ .

« أن » بعد « لَمَّا » وأثرها في الدلالة على تراخي الزمن : نصرة الشاعر ٣١٣ .

فاء الفصيحة : الغيث المسجم ١ / ٣٢٤ .

قد : الغيث المسجم ١ / ٣٩٦ .

الكاف : الغيث المسجم ١ / ٨٨ .

لا : الغيث المسجم ١ / ١٤٩ .

اللام : الغيث المسجم ١ / ٢١٧ .

لم : الغيث المسجم ١ / ٣٤١ .

نون الوقاية : الغيث المسجم ١ / ٣٤٠ .

هل : الغيث المسجم ١ / ٣٤٨ .

الواو : الغيث المسجم ١ / ٦٨ ، ٦٩ ، ٢١٥ .

واو الثمانية : الغيث المسجم ١ / ٧١ .

الواو والنون (ون) فى الأسماء ، وفى الأفعال : الغيث المسجم ١ / ٣٦٣ .

موضوعات الصرف :

* اسم المفعول من ذوات الواو « مدووف ، ومصوون » ... الغيث المسجم ١ /

. ٦٦

* أوزان اسم الفاعل ، والصفة المشبهة : نصره الثائر ١٦٣ .

* التصغير : الغيث المسجم ٢ / ٨١ ، ١٣٩ .

* حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وشواهد : الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٠١ .

* المصدر يصدق على القليل والكثير ، وحكمه فيما يندرج معه : نصره الثائر

. ٣٦٥

* وزن كلمة « أشياء » : الغيث المسجم ١ / ٣٦ .

هذا ثبت بالمسائل النحوية فى كتابى الصفدى المتعددى الأجزاء ، وهما أعيان

العصر ، والمطبوع من الوافى بالوفيات .

آراء الصفدى النحوية فى أعيان العصر

الجزء	الصفحات
٢	١٩٥ ، ٢١٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ٧١٠ ، ٧١٨
٣	١٧ ، ٣٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٧٠١
٤	١٨٨ ، ٢٤٥ ، ٦١١ ، ٦٣٨ - ٦٤٢
٥	١٥١ ، ٣١٠

آراء الصفدى النحوية في الواقي بالوفيات

الجزء ١	الصفحات
١	٢٣٩ ، ١٩٤
٢	٣٣٣ ، ١١٨
٣	٣٦٠ ، ٨٠
٤	١٢٥ ، ١٢٤ ، ٢٢٠
٦	٣٧٠
١٥	٢٩٠ ، ٥٣
١٦	٢٥٠ ، ٢٤٩
١٨	١٩٦
١٩	٤٩٥ ، ٤٩٤ ، ٤٠١
٢١	٦٨ ، ٥٩
٢٤	١٢٠ ، ٥٩

مكانة الصفدى العلمية في النحو

تلمذ الصفدى لأبى حيان النحوى الذى قال عنه (١) :

« أمّا النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما ، لم يذكر معه ، فى أقطار الأرض غيره ، فى العربية وهو الذى جسّر الناس على مصنّفات الشيخ جمال الدين ابن مالك - رحمه الله تعالى - ورغبهم فى قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لُججها ، وفتح لهم مقلها ... والتزم ألا يُقرئ أحداً إلا إن كان فى سيويه أو فى التسهيل لابن مالك ، أو فى تصانيفه » ، فقرأ عليه النحو ، كما قرأ عليه أشعار الشعراء الستة ، والمقامات الحريرية .

قال أبو حيان للصفدى (٢) : « لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك » .

(٢) نفسه ٥ / ٢٦٨ .

(١) الواقي بالوفيات ٥ / ٢٦٧ .

ويقول عنه ابن تيمية ^(١) : « هذا ذهن جيّد » .

إنّ رجلاً يصفه أبو حيان بالفصاحة ، ويشهد له ابن تيمية بجودة الذهن ، لجدير بأن يبلغ فى النحو مبلغاً عظيماً ، وبخاصّة إذا عرفنا أنّه درس كتاب سيبويه ، وكتب ابن مالك ، وأبى حيان ، وابن الحاجب ، وابن الناظم ، وابن النحاس ، وابن هشام ، وغيرهم ، درس كل تلك الأمهات دراسة عالم متقن ، وباحث مدقّق ، وقرأ هذا النص لتدرك مدى وعيه بما يقرأ ، قال ^(٢) :

« إذا لم تخلف الألف واللام » كل « مثل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ ^(٣) ، فهى لبيان الحقيقة ، ذكر ذلك ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة ، وثبّه عليه فى التسهيل والده جمال الدين ، ولم أقف عليه فى نسختى ؛ ولعلّه سقط منها لنسيان الناسخ » .

ليس من العجيب إذن أن يبلغ الصفدى ، فى النحو مبلغ الاجتهاد ؛ فينفرد بآراء ، لم يسبق إليها ، وقد مرّ بنا منذ قليل تعليقه لرأى الجرجانى فى المفعول به ^(٤) ، وهو ردّ جيّد ، ومقنع يضع المصطلح موضعه من العلم ، ويفرّق بين إشارة اللفظ للمعنى وتطابقه مع الواقع .

وفيما يلى بعض الأمثلة لآرائه النحويّة المتميّزة :

* فى الشاهد النحوى ^(٥) :

فَكَيْفَ إِذَا مَرَزْتُ بِدَارِ قَوْمٍ وَجِيرَانِ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

قالوا : إنّ كان زائدة هى واسمها .

يقول الصفدى : « فيحتمل أن تكون على بابها مع التقديم والتأخير ، والتقدير :

وجيران كرام كانوا لنا ، وهذا متّجه ، ولم أر أحدا ذكره ^(٦) .

(٢) الغيث المسجم ١ / ٤٣٤ .

(١) الوافى بالوفيات ٧ / ٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٠ .

(٤) راجع صفحة ٦١٨ .

(٥) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد سيبويه ، ورواية الشطر الأول : « فكيف إذا رأيت ديار قوم »

انظر : الكتاب ٢ / ١٥٣ ، وتحصيل عين الذهب ٢٩٥ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٨٩ .

(٦) الغيث المسجم ٢ / ٢٠٠ .

ويبدو أن الصفدى لم يطلع على رأى المبرّد ، فقد جَوّزَ أن تكون « لنا » خبر كان ، وكأنّه قال : وجيران كانوا لنا كرام ^(١) وعلى هذا التقدير يكون الفصل بين الصفة والموصوف بجملة كاملة ، وقد ردّ ابن ولّاد ^(٢) هذا التقدير ^(٣) .
ولكن تقدير الصفدى فى التقديم والتأخير يزيل الفصل بين الصفة والموصوف ، وهو أفضل من تقدير المبرّد .

* فى بيت الطغرائى :

تَنَامُ عَنِّي ، وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ ، وَصَبِغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ
يقول الصفدى ^(٤) : « سَاهِرَةٌ » مرفوع على أنّه خبر المبتدأ .

والأحسن أن تكون « ساهرة » منصوبة على الحال ، والخبر محذوف ، كما قرئ : ﴿ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ ﴾ ^(٥) بالنصب ، معناه :

ونحن نُرى عصبه ، فكذا يُقدَّرُ هنا : وعين النجم تُرى ساهرة ، إذ المعنى : أتنام عني ، وهذه عين النجم تُرى ساهرة ؛ لأجلى ، وتستحيل عليّ ، وهذا صبغ الليل يُرى غير حائل ؟

وفى تقديره هكذا توييخ له ؛ لكونه من ذوى الحواس ، وقد نام عنه ، واستحال عليه ، وهذان غير حائتين ، ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ، ورثت ، فى حال غير نائمة ، ولم يستحل صبغ الليل رحمة ، ووفاء .

وإذا جعلت « ساهرة » خبرا لعين النجم ، وصبغ مبتدأ ، ولم يحل الخبر ، وكانت الجملة فى الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع والتوييخ الذى تقرّر ، ويعود المعنى : أتنام عني ، والحال من النجم والليل كذا ، وكذا ؟ وإن شئت قدّرت عين النجم خبرا ، والمبتدأ محذوف ، تقديره : وهذه عين

(١) المقتضب ٤ / ١١٦ .

(٢) أبو العباس ، أحمد بن محمد ، التميمي (ت ٣٣٢ هـ) نحوى . انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ١٠١ ، والأعلام ١ / ٢٠٧ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٩٥ .

(٣) الانتصار لسيبويه على المبرّد ١٣٩ .

(٤) الفيث المسجّم ١ / ٣٤١ .

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٨ .

النجم ساهرة ؛ ويكون فيه معنى زائد فى التوبيخ ؛ لأنك إذا قلت : أ يخفى عليك ما أردت ، وهذا الطفل قد فهمه ؟ فيه معنى زائد على قولك : أ يخفى عليك ما أردت ، والطفل قد فهمه ؟

بقى فى البيت سؤال (١) وهو : أن مفعول « تستحيل » ما هو ؟ ؛ لأن تستحيل من الاستحالة ، وهى استفعال من الإحالة ، تقول : استحال زيدٌ على عمرو . فالجواب : أنه محذوف ، تقديره « عَلَيَّ » ، وحسن حذفه كونه معلوما من السياق ؛ فنه إذ قال : تمام عني ، علم أن معنى قوله : وتستحيل ، أى : عَلَيَّ ، فهو جار ، ومجرور موضعه نصب على المفعولية .

فى كل القواعد التى أوردها الصفدى ، ذكر شواهدنا النحوية ، وتركت دراسته كتب ابن مالك ، وتفسير أبى حيان أثرا واضحا فى كتبه ، بعامة ، فقد تعرض لأكثر آيات القرآن الكريم ، التى يُشكّل إعرابها ، أو فيها قراءات تحتاج إلى توجيه ، كما يذكر من الأحاديث الشريفة ما يثير قضايا نحوية ، فمن ذلك .

* ومن مشكل هذا النوع - يريد : بناء الفعل للمجهول - قراءة ابن كثير (٢) وعاصم : ﴿ يَسِيحُ لَهُمْ فِيهَا بِالْفُؤَادِ وَأَلْأَصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿ (٣) بضم الياء فى يسبح ، وفتح الباء ، على بناء مالم يسم فاعله .

قال بعض العلماء : حذف الفاعل ، هنا ، وإبهامه على السامع مدح عظيم ؛ لأنه إذا حذف الفاعل اقتضى أن الذين يستبحون الإنس ، والجن ، والملائكة ، والخلق أجمعون ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (٤) على أحد الأقوال ، ثم إنه تعالى خصهم بالذكر فى قوله : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ ﴾ أى : صفتهم ما ذكر من المدح تشريفا لهم ، وعناية بهم ؛ فكأن السامع تشوق إلى أن يعلم من

(١) الغيث المسجم ١ / ٣٤٢ .

(٢) أبو معبد ، عبد الله بن كثير ، الدارى ، المكى (٤٥ - ١٢٠ هـ) أحد القراء السبعة ، وقاضى

الجماعة .

انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٤٠٩ ، والأعلام ٤ / ١١٥ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٣٦ ، و ٣٧ .

(٤) سورة الإسراء ١٧ : ٤٤ .

هم المسبّحون ، فعقبه بقوله : ﴿ رِجَالٌ ﴾ الآية ، والوقف في هذه القراءة على الآصال ويتدأ بقوله : ﴿ رِجَالٌ ﴾ ولو وقف على رجال كان كفرا .
أثار الصفدى كثيرا من القضايا النحوية في إعراب آيات القرآن الكريم لم تكن تشغل العلماء ، فمن ذلك :

• فى قوله تعالى : ﴿ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴾^(١) سأل عددا من العلماء شعرا ، ونثرا عن السبب فى ذكر المفعول به ، والضمير المتصل يعنى عن ذكره ، لو قال : « استطعماهم » ، وهو أخصر ، فمن سألهم : ابن شيخ العوينة ، والقحفازى ، وتقى الدين السبكي .

• سأل الصفدى ابن تيمية عن قوله تعالى : ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ ﴾^(٢) قال : « المعروف بين النحاة أنّ الجمع لا يوصف بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد من الوصف .

فقال : كذا هو . فقلت : ما مفرد متشابهات ؟ فقال : متشابه . فقلت : كيف تكون الآية الواحدة فى نفسها متشابهة ، وإنما يقع التشابه بين آيتين ؟
وكذا قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾^(٣) كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه ؟ .

فعدل بى من الجواب إلى الشكر «^(٤) .

وكثيرا ما كان يثير قضايا نحوية ، أو يشير إليها ، وفى غالب الأحيان لا يهتم بشرحها ، ثقة منه بعلم القارئ ، فمن ذلك « كان الشيخ نجم الدين^(٥) يقول فى

(١) سورة الكهف : ١٨ ، ٧٧ ، وقد ذكر السؤال ، والجواب فى تراجم المذكورين . راجع : أعيان المصر ٣ / ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، والوافى بالوفيات ٢١ / ٥٦ ، ٨٦ ، وفيهما رد ابن شيخ العوينة ، والقحفازى ، ووعده الصفدى بأن يذكر رد السبكي فى ترجمته ، ولكنه سها عنه ، وقد أورد السيوطى السؤال ، ورد تقى السبكي فى الأشباه والنظائر ٤ / ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ١٥ .

(٤) الوافى بالوفيات ٧ / ٢٠ .

(٥) هو الحسن بن محمد ، خطيب صفد ، سبقت ترجمته فى صفحة ٦٣ .

الخطبة الثانية ، عند الترضى على الخلفاء الراشدين : المُكْتَبِيُّ بأبي بَكْرٍ الصّدِيقِ ،
وأبي حَفْصٍ ، وأبي عَمْرٍو^(١) ، ولا يَنْوَنُ بَكْرًا ، ولا حَفْصًا ، ولا عَمْرًا وهو وجه في
أبي بكر حَسَنٌ ، وفيما بعده ضعيف «^(٢) .

لم يذكر الصفدى وجه استحسان منع أبى بكر من الصرف وضعف غيره ، ولم
أجد فى كتب النحو التى اطلعت عليها من أشار إلى ذلك ، غير أننى وجدت فى
لسان العرب أنّ من معانى « البَكْر » : الفَتَى من الإبل ، وقد يطلق على الأثنى ،
وروى قول عمرو بن كلثوم^(٣) :

ذِرَاعِي غَيْطَلِي أَدْمَاءِ بَكْرٍ عَدَاهَا الْحَفْصُ ، لَمْ تَحْمِلْ جَنِينًا

فاللفظ إذن يحتمل المنع من الصرف للعلمية والتأنيث على هذا الوجه ، ويعطى
النحاة العَلَمَ المركب إضافياً حكم المتضايقين مع إعطاء الجزء الأخير حكم العلم ؛
فيمنع من التنوين إن وجد سبب لذلك^(٤) ، ولم أهد إلى السبب الذى جعل
الصفدى يصف الاسمين الآخرين بضعف منعهما من الصرف إلا إذا اعتبرنا حفصاً
مرحماً حفصة فى غير نداء ، وإعطاء عَمْرٍو حكم عَمْر .

وبالرغم من أنّ المؤلف يرى ضعف تعليل النحاة ، إلا أننا نجد حريصاً على
التعليل لكل قاعدة يذكرها^(٥) ، من ذلك قياسه الاسم الممنوع من الصرف على
الفعل فى عدم تنوينه^(٦) .

وبالرغم مما عُرف عن الصفدى من الدقة والإتقان ، إلا أنه يسهو ، ويقع فى
الأخطاء البسيطة ، ففى قول الطغرائى :

أَصَالَهُ الرَّأْيُ صَانَتْهُ عَنِ الْخَطْلِ وَجَلِيَّتُهُ الْفُضْلُ زَانَتْهُ لَدَى الْعَطْلِ

(١) كان سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يكنى بأبى عمرو ، وأبى عبد الله .

(٢) أعيان العصر ٢ / ١٩٥ .

(٣) لسان العرب « بكر » ٤ / ٧٩ ، والشاعر هو : أبو الأسود ، عمرو ابن كلثوم بن مالك (ت نحو ٤٠ ق . هـ) شاعر تغلب فى الجاهلية ، ومن أصحاب المعلقات . انظر : الأعلام ٥ / ٨٤ ،
ومعجم المؤلفين ٨ / ١١ .

(٤) راجع شرح الأشمونى ١ / ١٠١ .

(٥) انظر : الغيث المسجم ١ / ٦٧ ، ونصرة الناثر ٨٢ .

(٦) راجع صفحة ٣٦١ .

فإنه يعرب التاء التي في الفعلين « صانتني ، وزانتني » قائلاً :
 « التاء : ضمير يرجع إلى أصالة ، وهو في موضع رفع ؛ لأنه فاعل صان » (١) ،
 والصحيح أنها تاء التأنيث الساكنة ، حرف لا محلّ له من الإعراب ، والفاعل ضمير
 مستتر .

فسبحان من كتب على عباده الخطأ والنسيان ، واختص نفسه ، بالكمال ،
 وحده سبحانه وتعالى .
 بقي أن نعرف رأي الصفدي في ضرورة تعلم النحو ، فهو يراه يجنب صاحبه
 اللحن ، ولا يفيد تعلّمه في الكبر ، فالنحو « علم صِغَر ، يحتاج إلى أن يمتزج باللحم
 والدم » (٢) .

(١) الفيت المسموم ١ / ٦٨ .

(٢) أعيان العصر ٥ / ١٧ .

الخاتمة

في دائرة المعارف الإسلامية ، كتب المستشرق كرنكو تعريفا بالصفدي ، ومؤلفاته ، وأباح لنفسه أن يصف بعض مؤلفاته الشعرية بـ « التفاهة » ، وربما هو لم يقرأها ، وإن قرأها لم يتذوّقها ، وقد يكون له عذره ، ولكن ما عذر الباحثين العرب الذين أخذوا يردّدون هذا القول « التافه » - منذ ظهرت هذه الكلمة المضللة - دون أن يرجعوا إلى الكتاب الموصوف بهذه الصفة ، يقرءونه ، وينقدونه ، ويحكمون عليه حكما منصفا ؟ .

كما كانت لشهرة الصفدي كمؤرخ أبلغ الأثر في صرف الباحثين عن دراسة الجوانب الخصبة عند هذا الرجل الموسوعي في الشعر ، والنقد ، واللغة ، والنحو .

وكان الهدف من هذه الدراسة تصحيح المفاهيم الخاطئة عنه والكشف عن آثاره المتعدّدة ، في فروع الثقافة السائدة ، في زمنه وبيان ما له فيها من يد بيضاء ، ليس باعتباره رجلا من أبرز رجالات عصره ، فحسب ، بل باعتباره الأنموذج الأكمل المصوّر للقرن الثامن الهجري في علومه ، وآدابه ، وأسلوبه .

امتاز الصفدي بأخلاق حميدة ، وصفات طيبة ، وعفة في لسانه ، وعدل في أحكامه ، ونزاهة في أقواله ، وأمانة في نقله وتوثيق لمعلوماته ، وملاحظة دقيقة واعية فاحصة لكل أحداث وقته في السياسة ، والحرب ، والاجتماع ، والثقافة ؛ لذلك ترك أثرا لا يُجحد في كل من جاء بعده من المؤرخين ، والأدباء .

غير أن أبرز ما تفرّد به هو منهجه القائم على الانتقاء ، فهو يعرض الآراء عرضا شاملا وافيا ، ثم ينتقى أفضلها ، أو يبتكر رأيا لم يسبق إليه .

وقد أحببت أن أختتم هذه الدراسة بالتنبيه على التخطيط المحكم الدقيق الذي يصنّف به كتبه ؛ فهو يرسم خطة متقنة للكتاب قبل البدء في كتابته ، بكل تفاصيلها ، وجوانبها ؛ فالملاحظ في الغيث المسجّم ، مثلا ، أنه قسّم قواعد النحو على أبيات القصيدة ، ورَتّب المعلومات ، والاختيارات الشعرية المناسبة للمعنى ، والموضوعات الأدبية ، واللغوية التي سيعرضها عقب شرح كل بيت ، بل ونسّق الملح ، والاستطرادات التي سيُطرف بها قارئه ، ويشوقه ، ويروّج عنه .

والدليل على ذلك أنه يقول (١) :

* « لعل من أخوات إنَّ ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، وقد تقدّم الكلام على
تعليل هذا العمل في قوله :

« إني أريد طروق الحيّ من إضم البيت » .

* ويقول (٢) : « ثم مات شبيب (٣) ، وعمي أَرْطَأَةٌ (٤) ، فكان يقول : ليت
شيبا كان عاش ، ورآني أعمى ، وستأتي جملة تتعلق بذكر العمى في الكلام على
قوله :

« أعدى عدوك البيت » .

فراه يذكر المعلومات السابقة في موضعها ، وينبّه على المعلومات القادمة في
موضعها ، وكأنه يقرأها على خارطة خطته المرسومة ، وفي الواقع لا تكاد تمر
معلومة ، ويعود إلى ذكرها إلاّ نته على موضعها السابق ، وسبب الاستشهاد بها في
الموضعين ؛ وهذا يوضّح الدقّة المتناهية في رسم الخطة ، أولاً قبل الشروع في
التأليف ، ثم الالتزام بها .

فصّلت القول عن مؤلفاته ، وبيّنت موضوعها ، وخطتها ، وما اشتملت عليه ،
واستبعدت الكتب التي نسبت إليه خطأ .

ثم تحدّثت عنه كمؤرخ ، ثبت ، وشاعر من كبار شعراء عصره ، وناقد كبير
بعث في النقد الروح الأدبية التي عرفت عند عبد القاهر الجرجاني ، المعتمدة على
أرفع أمثلة الشعر ، وأوضحت إسهامه في علوم اللغة ، والنحو .

والحمد لله رب العالمين

(١) الغيث المسجم ٢ / ٩ .

(٢) الغيث المسجم ٢ / ٢٣٢ .

(٣) شبيب بن يزيد بن جمره ، ابن البرصاء (ت نحو ١٠٠ هـ) شاعر بدوي هجاء . انظر : الوافي
بالوفيات ١٦ / ١٠٥ ، والأعلام ٣ / ١٥٧ .

(٤) أبو الوليد ، أَرْطَأَةٌ بن زفر بن عبد الله ، ابن سُهَيْبَةَ (ت بعد ٦٥ هـ) شاعر ، معتر ، من فرسان
الجاهلية . انظر : الوافي بالوفيات ٨ / ٣٤٨ ، والأعلام ١ / ٢٨٨ .